نصيب

قصة

بقلم الآنسة

سميرة عزام

خذها ، فسلطي تنتهي هنا !.

ان اباها لم يقل شيئاً من هذا حين اسلمها الى عريسها على باب الكنيسة، ولكنها احست بالعبارة وهي تأخذ اليد التي امتدت اليها وتسير تشق طريقها بين الحاضرين الذين نثروا سلال الزنبق الابيض عند اقدامهم .

لم ترفع عيناً ولكنها احست بكثافة الجو حولها ، احست بكتلة بشرية جاءت تتفرج عليها وتتفرج على بعضها، وتتزود بمادة لحديث لا ينتهي قبل ايام .

اذن فالامر حقيقة ، وها هي ذي تحضر على قدميها لتشهد الله، لتشهد الناس ، لتشهد الرجل الواقف الى يسارها بانها ستكون زوجة وفية ، كما كانت سارة لابراهيم !!

أكانت تريد ذلك حقاً ؟

يا لحيرتها هنا بين « نعم » و « لا »، ويالضآلتها أمام قوة غريبة اصطلحت امها وصويحبات امها من النسوة على تسميتها بالنصيب . وكانت قبلاً ترفض — وهي بنت المدارس — ان تعترف بكلمة رجعية في قاموسها ، كلمة ملأت راس امها وجدتها من قبل ، اما هي فليست من مدرسة « النصيب » هذه ، فالنصيب مخدر مسلوبي الارادة وما هي ، ما هي منهم .

ولكن اكان بامكانها حقاً ان تتمرد على النصيب الذي اوقعها بلا مقاومة مذكورة وبلا ادنى اثبات وجود او اختيار ؟ واعجب من هذا أو بعض هذا انها ما قالت « لا » .

ترى لم لم تقل « لا » ؟؟

ان « النعم » في مفهومها النفسي ارادة ايجابية فيها روح القبول ، فيها طعم الرضى ، فيها رائحة الشوق ، ولكن لم يكن (لنعمها) شيء من ايجابية هذه الاحاسيس .

كانت نعماً . . . وحسب .

والحكاية ليست قديمة .

قبل اربعة شهور او نحوها ، جاءت ام هذا الرجل — او قل جاء النصيب — يطرق بابها .

ولم تكن على معرفة سابقة بالمرأة ، ومع ذلك فقد فهمت بغريزتها معنى زيارة إمرأة غريبة لبيت فيه فتاة صبية، ولم تكن امها اقل منها فهماً، فنادتها لترجوها ان تضع على جسمها ثوبها الرمادي الجديد .

وشعرت بأنها تزدري امها اذ تقول هذا ، وتزدري اكثر هذه المرأة التي تريد أن تستكشف بنظراتها لون لحمها من تحت الثوب الكتاني البسيط الذي ترتديه .

وفي الليلة نفسها عادت المرأة ومعها ابنها . . . وتمردت هي وابت ان تخرج لتستقبلها إلا بعد الحاف من والديها . وجلست واجمة ، وكانت ثقيلة حين كانت تضطر الى الرد على اسئلة الرجل الذي حاول ان يلاطفها بها، وايقنت بأنها لن تعجبه اذ بدت امامه ضئيلة نوعاً ما ، وغاظها هذا اكثر فأكثر، فقد كانت تحب الناس الذين تتمكن من ان تطاق بعض شخصيتها على امتدادها ، ولم تشعر مع هذا انها تستطيع ان تكون هكذا ، ولو انه كان يحادثها كمن يحادث صغيرة .

ولما قاما اندفعت الى غرفتها لئلا تسمع صوت امها ينالها بعتاب شديد .

وبعد ايام عادت نفس المرأة اليهم .

وغاظتها من جديد زيارة المرأة ، فقد كانت اولا غير مستعجلة الزواج، وكانت ثانياً تفكر بأنها غصبة لا يمكن ان تتزوج على طريقة امها وعماتها ، وكانت ايضاً لا تستريح الى هذا اللون من الناس الذين يتكلفون الشخصية والذين تنكمش امامهم فتتلاشى ذاتيتها او لا تعود هي تهتم باثباتها .

ولم تدخل لتسلم ولكنها سمعت من خلال الباب الموارب صوت المرأة يسأل امها عنها .

وعاودها الشعور بالتوتر، فهرولت الى اقرب صديقة، ولما عادت وجدت امها في انتظارها على الباب فاتحة فمها وذراعيها ونفسها (عريس يا إبنتي عزيس ، ونعم « النصيب » تحسدك عليه الفتيات)

من قال لامها انها تريد عريساً تحسدها عليه الفتيات ؟؟ من قال لامها انها تقبل ان تخطب هكذا ؟ من قال . . ؟

— اترفضين . .

— نعم . . . .

قالتها وتركت امها في ثورة تصطخب .

وفي المساء زارهم الرجل .

لم أسمه الرجل ؟ الانه كان يستحق الكلمة؟ قد يكون. فقد كان رجلاً في سنه ، رجلاً في حركاته، رجلاً في تفكيره ، وكان معتزاً بهذا كله اكثر مما تحب .

وخطبها . .

وعاشت في الدوامة شهراً اصرت في نصفه الاول على (اللا). الا انها في نصفه الثاني بدأت تفكر . لم يحاول أبوها ان يغريها ، كل ما فعله هو انه بسط حسناته وزكاه ليكون زوجاً .

وحاولت امها ان تمثل دوراً حيادياً فخذلتها طبعتها . كانت امرأة فظلت توسوس لها كلما وجدت فرصة الى ذلك .

وهي ؟

وسط الحاح امها ، واهلها جميعاً وجاراتها وجدت نفسها تتنازل عن اصرارها وتفكر تفكيراً فيه بعض جدة .

لتأخذ هذا الانسان جملة وتفصيلا ، انه مقبول الشكل ، هذا واضح ، وناجح في عمله، يشهد بهذا متجره في السوق ، ومظهره ، وكل من تطوع للتحدث عنه . قوي الشخصية ، اجل، والا لما كان رجل اعمال ناجحاً . مثقف الى حد ما ، او ثقفته الحياة اكثر مما فعلت فيه المدارس. وثقافة الحياة افعل في وافع الحياة ، كما يشهد الناجحون في الدنيا . فهو اشياء لم تحبها ، غرور ليس الى حد الفساد ، حب المظاهر لم يكن في طبيعتها . مثلاً لقد استسخفت ان تكون ساعته ذات سوار ذهبي، وكرهت (جداً) ان يضع دبوساً في ربطة عنقه ، ولا تدري غير هذا من امره شيئاً .

قال لها انه يقرأ ، وانـــه يحب الموسيقى ، ولكنها لم تكن ميالة الى تصديقه ، بدليل انها عندما سألته عن فنانه المفضل تردد قليلا قبل ان تسعفه الخاطرة بجواب .

لا يمنع ان تكون لديه مجموعة، ولكن هل كل الذين يملكون مجموعات من الكتب او الموسيقى يقرأون ويسمعون ؟؟ ولا تدري لم كانت كلما فكرت فيه اتجه تفكيرها مباشرة الى ابن عمتها . كان في سنها او اصغر قليلا ، ولم تكن تطمع في ان تتزوجه ، فما زالت له على مقاعد الدرس سنوات ، وما زال مستقبله شيئا مغمغماً مجهولا .

ولكنها كانت ابدا تعجب ببساطة شخصيته ووضوحها ، بهواياته الطفلة ، فلو عثر على اسطوانة جديدة مثلا حملها وجاء ركضاً الى بيتها واتجه رأساً الى الحاكي وادارها وراح يرقص وهو يضج حياة .

اما هذا الآخر فلا يمكن قط ان يكون بسيطا طبيعياً ، فهو يمثـــل شخصية رجل الاعمال تمثيلًا لا يخلو من تكلف. وقد يضحك حتما لو ارته محاولاتها في الرسم بالالوان المائية او هو يلبس دور « الفاهم » فيحاول ان ينتقد لوحاتها وهو ينفث دخان لفيفته.

الا ان هذه كانت مجرد صغائر يمكن ان تحمله على ان تتخلى عنها او يمكن ان تألفها فيه لو عرفته احسن .

ثم ماذا وراء رفضها لو رفضت ؟؟

هل تملك ان تختار ؟

ليس في قلبها حب معين لانسان ، ولو كان – وكم ودت ان يكون – لسهل عليها ان تعين اتجاه حياتها ، الا ان هذه الثروة لم تكن لقلبها ، وما كانت حياتها خلواً مـــن الاثارات ، كان فيها بعض ما يسعد الفتيات او يثيرهن ، عبارات اطراء من شباب او اعجاب صغير ، او ود مع واحد كما هي مع ابن عمتها ، ولكن هؤلاء جميعاً لا يمكن ان يصلحوا ازواجا وما يدريها انهم يريدون .

ومع هـذا ففرص الحب لا تزال في متناولها ، لو عرفت كيف تغير قليلا من نمط حياتها .

ولكن اكان خلق الفرصة بحد ذاته ممكناً بالنسبة لها ؟

لا تعتقد ، فصلاتها بالناس محدودة وشكلية. ابوها رجل يفهم الحياة فهما عتيقا ، ولا يؤمن بانها يمكن ان تكون أحسن لبنته مما يعطيها، حسبها ان تأكل وتلبس وتزور وتستقبل اقرباء الاسرة واصدقاءها القدامى، او تموت ضجرا – ان شاءت ان تموت – هي جالسة ترقبه وهو يلعب الطاولة مـع كهل من اصدقائه .

وامها كانت تحمل نفس التفكير، ونفس المقاييس، وكل همها، وقد زحفت الى عقدها الخامس، هو ان تختار بنفسها زوجا لبنتها تطمئن عليها في صحبته، وقصدها اولا ان يكون ميسورا ، فالمال يعني لديها فرشا وثيرا ومظهرا اجتماعيا لا بد منه .

اما هي فتحب ان يكون زوجها انساناً مختلفاً بعض الشيء : تريـــده اكبر منها قليلا ، يحفظ الكثير من القصائد العاطفية ، ويحب لوحاتها ، ويقبل ان يضع (فوطة) على خاصرته ويشاركها صنع كعكة البرتقال او عجة البطاطس ، ويقبلها مرة كل عشر دقائق . هكذا كانت تتمثل (رجلها) ولم تعثر بعد على الانسان الذي يمكن ان يكون كل هذا الا ابن عمتها .

لو كان لها اخ كبير لتيسرت لها فرص التعارف ، ولكن اخاها كان اصغر منها بكثير .

اذن هي في واقع حالها لا يمكن ان تختار ، لا يمكن ان تمارس ارادتها ، ككل شرقية ، فهي مشلولة الوجود .

وظلت في الدوامة .

ماذا تقول ؟ هل ترفض ؟

الا يعتبر رفضها تسرعا ؟ ان في الرجل حسنات ، ثم هي لا تستطيع ان تقطع بان ثمة هوة نفسية بينهما لسبب بسيط هو انها لم تعاشره .

الا يمكن ان يتجرد من هذه المظهريات عندما يصبحان احسن تآلفاً ؟

الا يمكن ان تجعل منه انسانا بسيطا مثلها ؟

لم اختارها هي بالذات ؟

طالما راودها السؤال والح عليها، وودت من اعماقها لو تسمع جوابه، فلم تسعفها الفرصة. ولما قالت لابيها: هل سألته، نظر اليها مستغرباً وقال: سخافة كيف اسأله سؤالا كهذا ؟ اعجب بك فخطبك . . فماذا تريدين اكثر ؟ يا ابنتي لا تكوني خيالية كاشخاص الكتب !

اجل لم اختارها ؟

حلوة ؟ ان رصيدها عادي ، توسط في الشكل والمظهر وليس هنالك ما يبهر . وغيرها من هن احلى . .

وعندما سألته هذا السؤال بعد ان خطبت اليه . . ابتسم ابتسامة خاصة وقال: «تريدين الحق؟ لقد تعبت من النساء . . وقلت ساختار زوجتي بطريقة تقليدية . . انني أخشى البضاعة المعروضة .»

اناني، اناني . . يريد ان يربط بدايتها ببداية نهايته . فالبدايتان في نظره واحدة .

تعب من النساء ، ولكنها هي لم تتعب من شيء بعـد ، فما ذنبها ؟ لقد قبلته بعد ان اتعبها التردد ، وافلحت امها في ان تجعلها تشعر بانها ستندم لو رفضته ، وتركها ابوها تفكر لنفسها، ولم تجد هي من داخلها عاملا يمكن ان تكون له كلمة الفصل في تجربة كهذه .

اجل قبلته عصفوراً في اليد، اما العشرة على الشجرة فحساب كتجارة جحا.

هكذا قالت امها وكثيرات من صويحباتها ممن لا يزلن بلا ازواج ، وهكذا اعتقدت، او توهمت انها اعتقدت ، حين قالت « نعم اقبل » وخطبت اليه اربعة شهور حاولت خلالها على ضوء « النعم » ان تحبه ، ان تفهمه ، ان تقربه منها ، من عقليتها . الا انها لا تستطيع ان تزعم انها نجحت ، وظل في نظرها الرجل الذي بعث بامه لتنتقي له امرأة ، وكان من الجائز الا تكونها لو كانت ساعة جاءت امه غائبة عن البيت او لو حلا لامه ان تمر اولاً ببيت الجيران !

وظل الرجل الذي يقيّم الحياة بعقلية مختلفة ونفسية تسخر من احلامها .

ابتاعت مرة ادوات مطبخ لبيتها ، وارته اياها وهي تقول بمزاح «هذا هو عالمي في بيتك » ، فقال : «او تظنين زوجك موظفا في الدرجة التاسعة حتى يدعك تعيشين بين القدور ؟ لا يا صغيرتي انا لا احب ان تكون لزوجتي رائحة ايدي الخادمات!» و سألته مرة: ألا تساعدني في تجفيف الصحون بعد ان اغسلها ؟ فقال وهو يضحك : هذا اذا تركتك تغسلين الصحون! وضايقها بكثرة هداياه من العطور والحرير فقالت: الا يمكن ان تحبني الا اذا اغرقتني بكل هذا ؟ فاجاب: تريدين ان استظهر لك دواوين الحب؟؟

هذه الثانويات الى جانب حركات تبدر منه كانت تتجمع فتغور شقة تشعر بها تقف بينهما . لا يمكن ان تكون لهذه الحركات قيمة تسجل معها انهـــا كانت تزعجها ثم تعود تطمئن نفسها وتضحك من صغائر لا يمكن ان تحول دون زواج سعيد .

حنين

رباب

[الى الراحلة نحو الارض الطيبة]

قبّلي عني التراب
مرّغي وجهك بالأعشاب خلف المنحنى
واذكريني واذكري أني
اتلظّى بالحنين .. اتغذّى بالمنى
واحضني عند الغروب
نجمة ذاوية مثلي أنا
واغمري الأشجار في الحقل الحبيب
أنشدي اغنيتي خلف الهضاب
« كلما الغصن انحنى
ليواسي أرضنا
شبح مرّ بنا
ظلّه ابدع من احلامنا
يحمل الهمس على كفّيه ، واغمار السنى
كم شدا من حبّنا
اروع الالحان في سمع الدنا ...
شاعر .. كان هنا
هل ترى يذكرنا .. !؟ »
والمسي الاحجار في بيت الصبا والذكريات
واهمسي
« كان المهات
اهون الأمرين .. يا معنى الحياة .. »!!
وانين الاغتراب
وتراتيل الشباب
تبعث الاحلام في قلبي المذاب
فارقبي .. من سطحنا
واحبسي دمعك فالليل الطويل
يحمل الفجر لنا .

سمير صنبر

وها هي ذي !

ترى لماذا تثور هذه الافكار وتدور في رأسها الان ؟ ساعة عرسها ؟ لماذا لا تتركها تزف الى هذا الرجل بسلام ؟

لم تك ابدا متوجسة او خائفة ، بل كانت شديدة الايمان بواقعية الحياة حين قالت « نعم اقبل هذا الرجل ».ولقد سألت نفسها: الا يكون نجاح عملية التكيف – من كلينا – انتصاراً لعقلية الفتاة العصرية ؟

ومن قال الساعة انها فشلت ؟

اذا كانت قد خسرت الشوط الاول .. فامامها الثاني ، والثالث . امامها العمر .

ولكن ما يدريها بانها ستفلح ، الا يمكن ان تنعكس الاية ، ان يلقنها هو مفهومه ؟

هوذا يبتسم ولا يخجل من الناس الذين دعاهم ليتفرجوا عليه ، وابوها أيضاً يبتسم ، حتى دموع امها تبتسم وكل الناس فرحون،فرحون من اجلها!!

وشعرت بالتوتر والغيظ يلعبان باعصابها ، وتعبت من الوقفة ، وودت لو ينتهي الكهان الاربعة الذين يطبخون عرسها ويتسابق كل منهم في رفع عقيرته ، بسرعة من هذه العملية . ماذا لو غاظتهم وقالت كلمة تفسد عليهم هذا الحماس ؟

– تريدين فلاناً زوجاً لك ؟

– لا . لا اريد .

أية نهاية درامية تضعها لهذه القصة بكلمة واحدة من شفتيها !

لا . لا اريد .

وتنتصر ، وينتصر تفكيرها القديم ، وتعيش فترة اخرى مخدرة باحلام الترقب ، وتغيظ هذا الذي بعث بأمه لتنتقي له زوجة ، وتتفرج على الدهشة البلهاء في وجوه الحاضرين .

(لا . لا اريد)!

حماقة ، حماقة ومن اضطرها الى الامر اضطرارا حتى تحمق الى درجة ان تقول « لا اريد » في حفلة العرس ؟

هل فرض عليها الامر بالقوة ؟

لا .. ومع ذلك الا تعبر « لا اريد » عما كان يعتلج في نفسها قبل ان تصبح بليدة تؤثر النهايات اللينة المضمونة ؟

لو يغيب عقلها لحظة ، وتقولها ، ينتهي كل شيء !

لا اريد . لا اريد .

وفي غمرة اضطرابها وتعبها وتوترها راحت ترددها،تقولها ، تصيح بها . ولكن الصيحة ماتت،لم يسمعها احد لا الكهان ولا الناس، حتى ولا هذا الرجل الى جانبها .لقد ضاعت في ضجة صوت لف الكنيسة ،صوت هؤلاء جميعاً يختمون زواجها بانشودة العرس (بالحب ، والكرامة كلها) !

سميرة عزام